اقليم مصر قبل زمن التاريخ

لحضرة الدكتور غرانت بك

ذكرتُ في المقالة السابقة ٱلَّتي أُدرجت في الجزء الاول من مقتطف هذا العام خلاصة ما يعرف عن اقليم القطر المصري في العصور الجيولوجيَّة من حين ظهرت اول بقعة منهُ بقرب اصوان الى ان تكوَّن الجانب الاكبر منهُ وتقهقر بحر الروم فصار حدهُ الجنوبي بقرب البدرشين موقع منف القديمة . وسأحصر كلامي الآن في ما يعرف عن اقليم القطر المصري في الزمن المتوسط بين العصور الجيولوجيَّة وعصر التاريخ اي في زمن الانسان قبل عصر التاريخ فاقول

ابتدأ الزمن الذي فيهِ كلامنا الآن بجري النيل في مجراهُ الحالي وجلبهِ للابليز الذي تكوَّنت منهُ سهول مصر الخصيبة وقد حدث ذلك منذ ثمانية آلاف سنة الى تسعة آلاف سنة لا غير (١)

لكن النيل لم يتمكَّن من الجري في هذا المجرى الى بحر الروم الاَّ بعد ان تغلَّب على عقبات كثيرة من الصخور المتبلورة والحجيبيَّة والرمليَّة والكلسيَّة (٢) . وقد زال بعض هذه العقبات من سبيلهِ دفعةً واحدةً وثبت البعض الآخر حواجز في طريقهِ فاجتمع ماؤهُ فوقها بحيرات ثم انحدر عنها شلاَّلات . ولم يطل الزمان حتى تهدَّم بعض هذه الحواجز فطغى الماء على البلاد ٱلَّتي تحتها فاغرقها . وقد حدث ذلك مرارًا في زمن التاريخ ايضًا فانهُ لما أتى صولون الى القطر المصري سنة ٦٠٠ قبل المسيح سأل كهنة المصريين عمَّا اذا كان في تاريخهم ذكر لطوفان عام مثل الطوفان المذكور في تاريخ اليونان (٣)

---

(١) سبر عمق رواسب النيل في الوجه البحري على عرض الزقازيق سنة ١٨٨٣ فوجد بين ٣٠ و٤٠ قدمًا والثقات مجمعون على ان الرواسب التي ترسب في وادي النيل كل مئة سنة تخنها اربع عقد ونصف الى خمس عقد ولذلك فقد ابتدأ رسوب هذه الرواسب في الوجه البحري منذ ستة آلاف سنة على الاقل او تسعة آلاف سنة على الاكثر

(٢) الصخور الظاهرة في وادي النيل من ادفو فنازلاً كلسية كلها وقد خددها النيل الى عمق مئتي قدم

(٣) اشارة الى طوفان دبوكاليون وزوجتهِ برها المذكور في الاقاصيص اليونانية وذلك ان زفس او المشتري معبودهم الاعظم اراد ان يهلك نوع الانسان بالطوفان فبنى دبوكاليون سفينة نجا فيها هو وزوجتهُ من طوفان غمر الارض تسعة ايام وهلك بهِ كل سكان بلاد اليونان ولما حسرت المياه استقرت السفينة على جبل برناسوس وقالت الالهة ثاميس لدبوكاليون وزوجتهِ ان يطرحا وراءهما عظام امهما لكي يعود الى الارض سكانها فطرحاها مع حجارة الارض فما طرحهُ دبوكاليون صار رجالاً وما طرحتهُ زوجتهُ صار نساء

فاجابوهُ ان عندهم ذكرًا لطوفانات كثيرة (٤) مشيرين بذلك الى تهدُّم حواجز الشلَّالات وطغيان مياه النيل . واول حاجز تهدَّم في الزمن الذي قبل التاريخ الحاجز الرملي في جبل السلسلة (٥) على اربعين ميلاً من اصوان شمالاً . ففي ذلك الحين كانت بلاد الحبشة القديمة المبتدئة من اصوان مغمورةً اكثرها بالماء لان شلال اصوان وشلال ممنة اللَّتي بقرب وادي حلفا لم يكونا قد تهدَّما . ويقال مثل ذلك عن كثير من الشلَّالات اللَّتي كانت تجعل وادي النيل سلسلة من البحيرات فضلاً عن البحر الكبير الذي كان يغطي الصحراء كما ابنَّا في المقالة الاولى . ومفاد ذلك كلهِ ان اكثر وادي النيل وما جاورهُ من البلاد كان مغمورًا بالماء فكان البخار كثيرًا والامطار غزيرة وكان النيل اوفر ماء ممَّا هو الآن لغزارة المياه اللَّتي كانت تصبُّ فيهِ ولم تزل آثار ذلك بادية في هذا القطر الى الآن

قال الاستاذ سايس ان الاودية والمسايل اللَّتي على جانبي وادي النيل تدلُّ دلالة واضحة على السيول القديمة والامطار الغزيرة اللَّتي كانت تقع في ذلك العصر وان الادوات الصوانيَّة القديمة اللَّتي وُجدت في هذا القطر بقرب جبل الخشب واماكن اخرى منهُ تدلُّ على ان هذه التغيرات الجغرافيَّة والاقليميَّة قد حدثت فيهِ في عصر الانسان

اما التغيرات الجغرافيَّة والاقليميَّة اللَّتي حدثت في هذا القطر في زمن التاريخ فسنشرحها مفصَّلاً في الجزء التالي

---

(٤) يمكن ان يقال مثل ذلك عن طوفان نوح الذي لم يكن عامًّا . فلم يتصل تاثيرهُ بالقطر المصري وخبر طوفان نوح وخبر الطوفان الذي ذكرهُ بروسيوس المؤرخ البابلي سنة ٢٥٨ قبل المسيح من اصل واحد على ما يظهر ويشيران الى حادثة واحدة حدث فيها مطر غزير جدًّا

(٥) ان القصة المصرية التالية تشير في ما يظن الى تهدُّم حاجز جبل السلسلة تهدمًا فجائيًا وهي

" ان رع ملك على مصر بعد فتاح زمنًا طويلاً واستولى السلم على البلاد في ايامهِ ثم شق رعاياهُ عصا الطاعة وقاوموهُ واغاظوهُ فجمع الالهة واستشارهم في ذلك فقالوا لا بد من هلاك الناس وفوَّضوا الامر الى سخت وهاثور فشرعتا في قصاص الناس لكن اهالي جزيرة اصوان قدموا لرع تقدمة من عصير الاثمار ودم الناس فشرب منها ورضي عنهم ثم صبَّ ما لم يشربهُ على الارض فحدث منهُ طوفان غمر ارض مصر كلها . ولما خرجت هاثور في اليوم التالي لتهلك الناس لم تجد احدًا ولكنها وجدت ماء فشربت منهُ وطاب قلبها " فيراد برع في هذه القصة الاله الخالق . وبخت زوجة فتاح اشعة الشمس الحمراء التي اهلكت اعداء رع . وهاثور اسم قديم للمعبودة ايسس زوجة اوسيرس وهي رمز الى ارض مصر الخصيبة واوسيرس رمزٌ الى النيل . وغنيٌّ عن البيان ان اهالي جزيرة اصوان لم يغرقوا بالطوفان الذي حدث من تهدُّم حاجز جبل السلسلة . ففي هذه القصة اشارة الى قيظ شديد وطوفان عظيم حدثا قبل زمن التاريخ